وينظرونه بحسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء وقال تعالى
فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون فجاءت شريعته في العبادة والدعاء
بما يوافق الفطرة بخلاف ما عليه أهل الضلال من المشركين والصابئين
المتفلسفة وغيرهم فإنهم غيروا الفطرة في العلم والإرادة جميعا وخالفوا
العقل والنقل كما قد بسطناه في غير هذا الموضع وقد ثبت في
الصحيحين من غير وجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قام أحدكم
إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه ولا عن يمينه
فإن عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن يساره أو تحت رجله وفي
رواية إنه إذن أن يبصق في ثوبه وفي حديث أبي رزين المشهور
الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما منكم
أحد إلا سيخلو به ربه فقال له أبو رزين كيف يسعنا يا رسول الله وهو
واحد ونحن جميع فقال سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله هذا القمر آية
من آيات الله كلكم يراه مخليا به فالله أكبر ومعلوم أنه من توجه إلى القمر
وخاطبه إذا قدر أن يخاطبه لا يتوجه إليه إلا بوجهه مع كونه فوقه مستقبل
له بوجهه مع كونه فوقه ومن الممتنع في الفطرة أنه يستدبره ويخاطبه مع
قصده التام له وإن كان ذلك ممكنا وإنما يفعل ذلك من ليس مقصوده مخاطبته
كما يفعل من ليس مقصوده التوجه إلى شخص بخطاب فيعرض عنه بوجهه
ويخاطب غيره ليسمع هو الخطاب فأما مع زوال المانع فإنما يتوجه
إليه فكذلك العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه يستقبل ربه وهو فوقه
فيدعوه من تلقائه لا من يمينه ولا من شماله ويدعوه من العلو لا من
السفل كما إذا قدر أنه يخاطب القمر وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال لينتهين
أقوام عن رفع أبصارهم في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم واتفق
العلماء على أن رفع المصلي بصره إلى السماء منهي عنه وروى أحمد عن محمد بن
سيرين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع بصره في الصلاة إلى السماء حتى

أنزل

أنزل تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فكان بصره لا يجاوز
موضع سجوده فهذا مما جاءت به الشريعة تكميلا للفطرة لأن الداعي السائل
الذي يؤمر بالخشوع وهو الذل والسكون لا يناسب حاله أن ينظر إلى ناحية
من يدعوه ويسأله بل يناسب حاله الإطراق وغض بصره أمامه وليس نهي
المصلي عن رفع بصره في الصلاة ردا على أهل الإثبات الذين يقولون إنه على
العرش كما يظنه بعض جهال الجهمية فإن الجهمية عندهم لا فرق بين العرش
وقعر البحر فالجميع سواء ولو كان الأمر كذلك لم ينهه عن رفع البصر إلى جهة
ويؤمر برده إلى أخرى لأن هذه وهذه عند الجهمية سواء وأيضا فلو كان
الأمر كذلك لكان النهي عن رفع البصر شاملا لجميع أحوال العبد وقد
قال تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فليس العبد منهيا عن رفع بصره
مطلقا وإنما نهي عن الوقت الذي يؤمر فيه بالخشوع لأن خفض البصر
من تمام الخشوع كما قال تعالى خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث
وقال تعالى وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي
وأيضا فلو كان النهي عن رفع البصر إلى السماء وليس في السماء لكان لا فرق
بين رفعه إلى السماء ورده إلى جميع الجهات ولو كان مقصوده أن ينهى
الناس أن يعتقدوا أن الله في السماء أو يقصدوا بقلوبهم التوجه إلى
العلو لبين لهم ذلك كما بين لهم سائر الأحكام فكيف وليس في كتاب الله
ولا سنة رسوله ولا في قول سلف الأمة حرف واحد يذكر فيه أنه ليس فوق
العرش وأنه ليس فوق السماء وأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مجانب
له ولا مباين له أو أنه لا يقصد العبد إذا دعاه العلو دون سائر الجهات
بل جميع ما تقوله الجهمية من النفي ويزعمون أنه الحق ليس معهم به حرف
من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها
بل الكتاب والسنة وأقوال السلف والأئمة مملوءة بما يدل على نقيض قولهم
وهم يقولون إن ظاهر ذلك كفر فيتأول أو تفوض فعلى قولهم
ليس في الكتاب والسنة وأقوال السلف والأئمة في هذا الباب

Copyright © King Saud University